جامعة تكريت – كلية التربية للعلوم الانسانية .

قسم التاريخ .

الدراسات العليا : الماجستير في التاريخ الاسلامي .

مادة : السيرة النبوية .

عنوان المحاضرة : دعوة قبائل العرب الى الاسلام.

استاذ المادة : أ. م.د . حسين اعبيد الجبوري

بسم الله الرحمن الرحيم

دعوة قبائل العرب .

عندما جهر النبي محمد ﷺ بالدعوة تحولت إلى حالة جديدة يجب أن تصل إلى الناس جميعاً ، وتخرج عن إطار مكة الضيق والمجتمع المكي الذي لم يُوفَّق بقبول الدعوة كلياً ، بل كان أكثر أهلها لم يتقبلوا الدعوة وإنَّ العدد القليل من الشباب والضعفاء هم من آمنوا وصدقوا ، فكان لابد من الانطلاق نحو أفق أوسع بدعوة القبائل مستغلاً مواسم تجمع القبائل في مكة وفي المناطق القريبة منها كسوق عكاظ وغيرها لنشر دعوته ﷺ .

أما فيما يخص هذه المرحلة المهمة من مراحل الدعوة الإسلامية فقد تحدث ابن القيم عن هذا الأمر وجعل دعوة قبائل العرب المرتبة الرابعة بقوله : ((إنذار قومٍ ما أتاهم من نذير من قبله وهم العرب قاطبة))[1] ، عموماً أن مراحل الدعوة متداخلة مع بعضها بعضاً وأحياناً متزامنة ، ولا توجد نقاط فاصلة بين مرحلة وأخرى ، لذلك من الصعب تحديد زمن كل مرحلة بدقة ، ما لم ترد رواية تشير إلى الزمن الذي تبدأ فيه هذه المرحلة أو تلك ، ومرحلة دعوة قبائل العرب من الصعب جداً حصرها زمنياً ، بسبب أن مواقف رسول الله ﷺ في دعوة قبائل العرب منتشرة على طول العهد المكي ، كل ما سنحت له الفرصة دعا إلى الله تعالى، لكن كانت هناك مواقف واضحة في الدعوة أسلم فيها رجال مشهورون ، وكانت هناك أوقات زاد فيها التركيز على دعوة قبائل العرب ، لاسيما بعد أن ضاق ذرعاً بقريش وعنادها ومعاداتها للدعوة ، وهذا ما سنقف عليه عند عرض الروايات في هذا المبحث .

جمعت رواية البخاري الأولى بين خبرين الأول : ذهاب رسول الله ﷺ إلى سوق عكاظ لدعوة من فيه ، والآخر : خبر استماع الجن لتلاوة رسول الله ﷺ القرآن الكريم ، إذ قال : ((انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه ، عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب ، قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء قد حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة[2] ، عامدين إلى سوق عكاظ ،

([1]) ابن القيم الجوزية ، زاد المعاد ، ج1 ص19.

([2]) نخلة : نخلة الشامية واديان لهذيل على ليلتين من مكة يجتمعان ببطن مر وسبوحة وهو واد يصب من الغمير واليمانية تصب من قرن المنازل وهو على طريق اليمن مجتمعهما البستان وهو بين مجامعهما فإذا اجتمعتا كانتا واديا واحدا فيه بطن مر ، نخلة محمود موضع بالحجاز قريب من مكة فيه نخل وكروم وهي

وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا : هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم وقالوا : يا قومنا :

﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾[3]

فانزل الله تعالى على نبيه ﷺ : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ ﴾[4]))[5] .

إن قوله حيل بين الشياطين وبين خبر السماء مستوحى من قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ۝١٦ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ۝١٧ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾[6]

ومن قوله تعالى في سورة الصافات :﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾[7] .

لم تحدد هذه الرواية زمن وقوع هذه الحادثة بالضبط ، ولكن يمكن أن نلتمس منها إشارة تدل على ذلك ، أو زمن قريب من زمن وقوعها ، هي قوله يصلي بأصحابه صلاة الفجر مما يشير إلى أن الأمر وقع بعد فرض الصلاة ، وذلك لتحديده وقت الفجر ، وقبل أن تفرض الصلاة لم يكن هناك وقت محدد للصلاة ، والمتفق عليه أن فرض الصلاة كان في رحلة المعراج [8]، والراجح

المرحلة الأولى للصادر عن مكة، ويوم نخلة أحد أيام الفجار كان في أحد هذه المواضع ، الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ص277 .

([3]) سورة الجن ، من الآية 1 والآية 2 .

([4]) سورة الجن ، من الآية 1 .

([5]) البخاري ، صحيح البخاري ، ص150 حديث رقم (773) ، ص902-903 حديث رقم (4921) .

([6]) سورة الحجر : الآيات 16-18 .

([7]) سورة الصافات : الآيات 6-10 .

([8]) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص160-162 ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ج1 ص213 ؛ ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ج1 ص113-114 ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج1 ص231 ؛ الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج1 ص134 .

في زمن رحلة المعراج في شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً [9] ، وعليه فإن وقوع هذه الحادثة يكون في المدة الزمنية الواقعة بين رحلة المعراج وبين الهجرة ، ولما كان موسم عكاظ في شهر شوال كما تقدم ، فإن في هذه المدة يوافق مرور شهر شوال لمرتين، شوال السنة الثانية عشر للبعثة وتوافق سنة (621م) ، وشوال السنة الثالثة عشر للبعثة وتوافق سنة (622م) [10]، وتجدر الإشارة إلى أن في هذين الموسمين حدثت بيعتي العقبة الأولى والثانية ، عليه يبدو من ذلك أن هذه الحادثة كانت في آخر العهد المكي .

أما الرواية الثانية للبخاري فتذكر أن رسول الله ﷺ دعا ابن عبد ياليل[11] في يوم العقبة أي في الموسم فلم يجبه ، فعترى رسول الله ﷺ الهم وانطلق على وجهه ، فلما كان بقرن الثعالب[12] استفاق لما أظلته سحابة فإذا فيها جبريل عليه السلام ، فخاطب رسول اللهﷺ واخبره أن الله تعالى سمع رد القوم عليه ﷺ، وقد بعث إليه ملك الجبال ليأمره بما شاء فيهم، فقال النبي ﷺ : ((بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً))[13].

أما رواية مسلم الأولى فقد وافقت رواية البخاري الأولى مع بعض الزيادات عند مسلم فيذكر زيادة على البخاري ما نصه : ((ما قرأ رسول الله ﷺعلى الجن ، وما رآهم))[14]، لكن يخالف هذا القول ما أورده مسلم في الرواية الثانية ، فيؤكد أن رسول الله ﷺ قرأ القرآن على الجن فيقول سأل سائل : ((هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ؟ قال : فقال : علقمة أنا سألت ابن مسعود فقلت هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ؟ قال لا ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا أستطير أو اغتيل –قال- فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء ،قال فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فقال : آتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن ، قال فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم ، وسألوه الزاد فقال : لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً ، وكل بعرة علف لدوابكم ، فقال رسول الله ﷺ فلا تستنجوا بها فإنها طعام إخوانكم))[15] ، وقد أورد مسلم رواية من ثلاثة طرق تذكر أن نفراً من العرب كانوا يعبدون

([9]) حسين عبيد ،التوقيتات الزمنية ، ص132 .
([10]) حسين عبيد ،التوقيتات الزمنية ، ص406-407 جدول رقم (52، 53) .
([11]) تقدم ترجمته عند ورود نفس حديث البخاري هذا ، ينظر : ص 243 من هذه الأطروحة .
([12]) قرن الثعالب بسكون الراء ميقات أهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة ، الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ص332 .
([13]) البخاري ، صحيح البخاري ، ص577 حديث رقم (3231) .
([14]) مسلم ، صحيح مسلم ، ص125-126 حديث رقم (449) .
([15]) مسلم ، صحيح مسلم ، ص126 حديث رقم (450) .

نفراً من الجن فأسلم الجنيون ، وبقي النفر من الإنس على عبادتهم ، فأنزل الله تعالى فيهم[16]: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ [17]

وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه عند تحليل رواية البخاري حول زمن حادثة استماع الجن لرسول الله ﷺ إن الحادثة وقعت في زمن قريب من زمن نزول سورة الإسراء التي نزلت قبل الهجرة بسنة .

وتحدثت الرواية الثالثة لمسلم عن إسلام عمرو بن عبسة ، الذي كان في الجاهلية يظن أن الناس على ضلالة في عبادتهم الأوثان ، فلما سمع بظهور رسول الله ﷺ بمكة ، قدم عليه فاستعلم عن أمره وما يدعو إليه ، فأسلم وبايع ، لكن رسول الله ﷺ بين له انه ليس باستطاعته أن يُظهر إسلامه في ذلك الحين ، وأمره أن يعود إلى قومه ويأتيه إذا ظهر أمره، فذهب عمرو بن عبسة وما عاد إلى رسول الله ﷺ حتى ظهر أمره في المدينة المنورة بعد منتصف العهد المدني[18] .

وذكرت الرواية الرابعة لمسلم إسلام أبي ذر الغفاري ، وأنه أصبح داعية يدعوا قومه إلى الإسلام فأسلم نصف قومه بدعوته ، إذ يقول أبو ذر في معرض حديثه عن قصة إسلامه : ((خرجنا من قومنا غفار وكانوا يحلون الشهر الحرام فخرجت أنا وأخي أنيس وأُمِّنا ... فنزلنا بحرة مكة ... وقد صليت قبل أن ألقى رسول الله ﷺ بثلاث سنين ، قلت لمن؟ قال لله ، قلت فأين توجه؟ قال أتوجه حيث يوجهني ربي ...فقال أنيس إن لي حاجة بمكة فاكفني ، فانطلق أنيس حتى أتى مكة فراث علي ثم جاء فقلت ما صنعت ؟ قال لقيت رجلاً بمكة على دينك ، يزعم أن الله أرسله ... قال: قلت أكفني حتى أذهب وأنظر ، قال فأتيت مكة ... وقد لبثت يا ابن أخي ثلاثين بين ليلة ويوم ... وجاء رسول الله ﷺ حتى استلم الحجر وطاف بالبيت هو وصاحبه ثم صلى فلما قضى صلاته ، قال أبو ذر فكنت أنا أول من حياه بتحية الإسلام فقلت السلام عليك يا رسول الله ، فقال وعليك ورحمة الله ، ثم أتيت رسول الله ﷺ قال : إنَّه وجهت لي أرض ذات نخل لا أراها إلا يثرب فهل أنت مبلغ عني قومك ؟ عسى أن ينفعهم الله بك ويأجرك فيهم ، فأتيت أنيساً فقال ما صنعت ؟ قلت صنعت أني قد أسلمت وصدقت ، قال ما بي رغبة عن دينك فإني قد أسلمت وصدقت ، فأتينا أُمَّنا فقالت ما بي رغبة عن دينكما فإني قد أسلمت وصدقت ، فاحتملناها حتى أتينا قومنا غفار

([16]) مسلم ، صحيح مسلم ، ص847 حديث رقم (3030) .
([17]) سورة الإسراء ، آية 57 .
([18]) مسلم ، صحيح مسلم ، ص219 حديث رقم (832) .

فأسلم نصفهم ... وقال نصفهم إذا قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلمنا ، فقدم رسول الله ﷺ المدينة فأسلم نصفهم الباقي...)) [19] ، لم يذكر الراوي زمناً لهذه الرواية ، ولم يذكر كيف كان يصلي أبو ذر ثلاث سنوات قبل أن يلتقي برسول الله ﷺ ، هل كان يقرأ في صلاته شيء ؟ هل كان يركع ويسجد ؟ لم يبين ما هو العمل الذي يقوم به ويسميه صلاة ؟ ثم إن ذكره تسمية يثرب كدار للهجرة يدل على أن زمن هذه الحادثة متأخراً في العهد المكي ، إذ إن الله سبحانه وتعالى نبه رسوله ﷺ إلى صوب المدينة بعد أن مضت هجرة الحبشة ورحلة الطائف ، ولو كان قبلهما لتوجه صوب يثرب ؛ لأن أمر الله تعالى واجب التنفيذ لا خيار فيه، فكيف يترك رسول الله ﷺ مكان أمره الله تعالى التوجه إليه ويذهب إلى غيره ؟ لكن هذا الاستنتاج في زمن هذه الحادثة يعارضه ما جاء في رواية مسلم نفسها ، من أن قدوم أبي ذر كان ورسول الله ﷺ متخفياً ، وأمر أخر في هذه الرواية هو أنَّ النصف الذي لم يسلم من غفار حدد موعداً لإسلامه قدوم المدينة ، من أين لهم هذا العلم بأن يثرب سيتحول اسمها إلى المدينة ؟ وإن رسول الله ﷺ سوف يهاجر إليها ؟ خلاصة القول في هذه الرواية أنها مركبة من أجزاء من روايات ضم بعضها إلى بعض فخرجت هكذا .

أما أبو داود فذكر في رواية الوحيدة التي أوردها عن هذا الموضوع ما نصه ((كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموقف ، فقال : ألا رجل يحملني إلى قومه فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي)) [20] ، لا شك أن الموقف الذي يقصده هو موقف عرفات إذ يجتمع فيه الناس من بلاد العرب لأداء مناسك الحج ، فيغتنم رسول الله ﷺ هذه المناسبة للدعوة ، لكن تصريحه بحاجته إلى رجل يحمله إلى قومه يدل على أن الأمر وقع بعد وفاة أبي طالب عمه الذي كان يحميه ، لأن قريشاً ما جرأت عليه إلا بعد موت أبي طالب ، فقال: (ان قريش قد منعوني أن أبلغ كلام ربي) .

أما رواية ابن ماجة فموافقة لرواية أبي داود تماماً من حيث المتن والسند[21] ، وكذلك رواية الترمذي موافقة لروايتي أبي داود ، وابن ماجة [22] ، والملفت للنظر في هذه الروايات الثلاث من ناحية السند أن ابن ماجة وهو معاصر لأبي داود ، قد أضاف راوي إلى سلسلة السند ، وسند رواية ابن ماجة مساوي من حيث عدد الرواة لسلسلة السند عند الترمذي وهو المتأخر زمنياً

([19]) مسلم ، صحيح مسلم ، ص698-699 حديث رقم (2473) .
([20]) أبو داود ، سنن أبو داود ، ص793 حديث رقم (4721) .
([21]) ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، ص46 حديث رقم (201) ، ينظر جدول رقم (10) ص317 .
([22]) الترمذي ، سنن الترمذي ، ص679 حديث رقم (2925) .

عنهم ، لكن في هذه الرواية نجد الترمذي يذكرها بسند أبو داود نفسه ويضيف راوٍ جديد هو محمد بن اسماعيل، وكذلك ابن ماجة يرويها بالسند نفسه فقط غير راوٍ واحد هو محمد بن يحيى[23] .

أما المؤرخون ففي أول رواياتهم التي أوردها عروة بن الزبير حدد زمن دعوة القبائل في المرحلة التي تلت حصار قريش لبني هاشم في شعب أبي طالب ، وهذه المرحلة بدأت في السنة السابعة للبعثة بعد هجرة الحبشة[24] ، والراجح في مدتها ثلاث سنوات أي كان خروجهم في السنة العاشرة للبعثة[25] ، فعليه تكون مرحلة دعوة القبائل قد بدأت في السنة العاشرة للبعثة ، قال عروة : ((لما أفسد الله صحيفة مكرهم ، خرج النبي ﷺ وأصحابه فعاشوا وخالطوا الناس ورسول الله ﷺ في تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم ويكلم كل شريف ، لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤووه ويمنعوه ، ويقول لا أكره منكم أحداً على شيء من رضي الذي أدعوه إليه قبله ومن كرهه لم أُكرهه ، إنما أريد ان تحوزوني مما يراد بي من القتل ، فتحوزوني حتى أبلغ رسالات ربي ، ويقضي الله لي ولمن صحبني بما شاء فلم يقبله أحد منهم ، ولا أتى على أحد من تلك القبائل إلا قالوا : قوم الرجل أعلم به أفترى رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومه ، وذلك لمَّا اذخر الله عز وجل للأنصار من البركة)) [26] ، وإن بدأت مرحلة دعوة القبائل حسب ما يفهم من هذه الرواية في السنة العاشرة من البعثة ، إلا أن ذلك لا يمنع أن تكون هناك دعوة لأفراد من قبائل العرب قبل هذا الزمن ، قد قابلهم رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الله تعالى ، فمنهم من قبل الدعوة ومنهم من رفضها ، والشواهد على ذلك متعددة ، وفي الحقيقة المقصود بهذه الرواية دعوة أهل يثرب ففي السنوات الثلاثة التي تلت خروج بني هاشم من الحصار كانت لقاءات الأنصار الثلاثة برسول الله ﷺ كل سنة في الموسم لقاء ، وفي أخر لقائين كانت بيعتي العقبة الأولى والثانية.

([23]) ينظر جدول رقم (10) ص317 .

([24]) المسعودي ، مروج الذهب ، ج2 ص287 ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج1 ص225 ؛ الحلبي، السيرة الحلبية ، ج1 ص476 ؛ البوطي، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، ط14 ، دار الفكر (دمشق 2004م) ، ص86 ؛ المباركفوري ، الرحيق المختوم ، ص110 .

([25]) ابن سعد ، الطبقات ، ج1 ص210 ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج2 ص585 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج3 ص81 ؛ العمري ، السيرة النبوية الصحيحة ، ج1 ص44 ؛ أمين دويدار ، صور من حياة الرسول ، ص186.

([26]) عروة بن الزبير ، مغازي رسول الله ، ص117 .